دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية

أ.د. بوفلجة غيات
. كلية العلوم الاجتماعية . جامعة وهران
ghiat_boufelja@yahoo.fr

الملخص

تمثل المدرسة بأهدافها وممارساتها، الدّعامة الأساسية في تعليم الأطفال مبادئ القراءة و الكتابة و المعارف العلمية و الأخلاقية. و تسهم في التنشئة الاجتماعية على عادات و تقاليد المجتمعات و قيمها و ثقافاتها و حضاراتها. فهي تعلمّهم تاريخ الماضي و تحديات الحاضر وأهداف و طموحات المستقبل.

لقد وسعت المدرسة الحديثة من أهدافها لتشمل تدريب المتمدرسين على القدرة على الاتصال والتعايش والقبول بالآخر والالتزام بقيَم المواطنة والدفاع عن حقوق الإنسان، وتدعيم قيم الوحدة الوطنية. كما اضطلعت مناهجها الدراسية بتعليم التلاميذ تاريخ أجدادهم وتطوّر حضارتهم، من خلال قصص وبطولات الأجداد وانتصاراتهم أوانكساراتهم، وواقع الحكام الحاليين وجهودهم في التنمية، وطموحاتهم في غد أفضل للمواطنين، والتحديات التي يواجهونها. واتضح بذلك الدور المتعاظم للمدرسة في توحيد الأفكار والقيم والاتجاهات، وتدعيم الشعور بالانتماء

للوطن وللأمة، مما يعزز الاتجاهات نحو الدفاع عن الوطن لصون أمنه والدفاع عن وحدته وتدعيم تطوّره وازدهاره.

تتطرق الورقة إلى دور التربية في تنمية النشء على قيم المواطنة والشعور بالانتماء للوطن والدفاع عن وحدته، ذلك أن مكانة المواطن وكرامته ومصدر اعتزازه مرتبطة بوحدة الوطن وسلامته من الاضطرابات الأمنية و الاجتماعية والسياسية ورفاهيته الاقتصادية.

Abstract:

Through its goals and practices, the school represents a mainstay in teaching children the ABC of reading, writing, scientific, and ethical knowledge. Also, education contributes to the socialization process on the customs, traditions, values, cultures, and civilizations of societies. Throughout education, children learn the history of the past, challenges of the present, and future prospects.

Nowadays, the modern school has expanded its goals to include the training of school attendees on the ability to communicate, coexist, and accept the others; and a commitment to the values of citizenship, the defense of human rights, and strengthen the values of national unity. Besides, school's curricula have undertaken teaching pupils the history of their ancestors and the evolution of civilization through stories of their grandparents' courage, bravery, knighthood, their victories, or their defeats. In addition, these curricula recount the current status of

the present rulers, their efforts in the developmental process, their prospects for a better future for the citizens, and the challenges they face. Therefore, it has become clear that the school has a growing and important role in unifying ideas, values and trends, and strengthening the feeling of belonging to both the country and nation. This; in fact, reinforces the trends towards homeland security, defense of the country's unity, and strengthen its development and prosperity.

The present paper addresses the role of education in bringing up the Young on citizenship and the sense of belonging to the country/ or the homeland and to defend its unity ; for the citizen's status, dignity, and source of pride is associated with the homeland's unity, safety from several social and political turmoil, and economic welfare.

1. مقدمة:

يتعرض الوطن العربي لكثير من المؤامرات والخطط التي تهدّد وحدة كياناته ومكتسباتها. وهكذا تعرف المنطقة العربية في العصر الحديث اضطرابات سياسية غير مسبوقة، فيما أصبح يعرف ب "الربيع العربي". حيث ظهرت اضطرابات اجتماعية وسياسية وأمنية في بعض الدّول العربية، نتيجة احتجاجات شعبية، مدعّمة من جهات أجنبية، وكانت نتيجتها اضطرابات أمنية وخسائر مادية وبشرية كبيرة، إلى درجة أنها قامت بتهديد الوحدة الوطنية لبعض الدول.

للتربية دور مهمّ في تعليم الأفراد و تدريبهم و توعيتهم، و إعدادهم لمواجهة مختلف المشاكل و الصعوبات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية. وأن الدول الصناعية المتقدمة تعود إلى التربية عند الأزمات، للبحث عن الخلل واستعمال التربية لتدارك النقائص ومواجهة التحدّيات (حجازي: 2001، 155). لذلك فلا غرابة أن تعود الدّول العربية إلى التربية لمواجهة التحدّيات الاجتماعية والأمنية والتدخّلات الأجنبية في الشؤون الداخلية، واعتماد مناهج تربوية لتدعيم قيَم المواطنة والوحدة الوطنية.

فالتربية هي الدّعامة الأساسية في تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والمعارف العلمية والأخلاقية، وتساهم في التنشئة الاجتماعية

على قيم المجتمعات وثقافاتها وحضاراتها. فهي تعلّمهم تاريخ الماضي وتحدّيات الحاضر وأهداف وطموحات المستقبل.

كما تساهم المدرسة بمناهجها الدّراسية في تعليم التلاميذ تاريخ أجدادهم وتطوّر حضارتهم، من خلال قصص وبطولات الأجداد وانتصاراتهم أوانكساراتهم، وواقع الحكام الحاليين وجهودهم في التنمية، وطموحاتهم في غد أفضل للمواطنين.

وكلّها معارف وقيَم مشتركة بين أبناء الشعب الواحد، تسعى التربية عموما إلى تدعيمها. وقد وسّعت المدرسة الحديثة من أهدافها لتشمل تدريب المتمدرسين على القدرة على الاتصال والتعايش والقبول بالآخر والالتزام بقيَم المواطنة وحقوق الإنسان، وتدعيم قيم الوحدة الوطنية.

من هنا يتضح دور التربية في توحيد الأفكار والقيَم والاتجاهات، وتدعيم الشعور بالانتماء للأمة وللوطن، مما يعزز الاتجاهات نحوالدفاع عن الوطن لصون وحدته وتطوّره و ازدهاره. كما تبرز أهمية التربية في تنمية النشء على قيم المواطنة والشعور بالانتماء للوطن والدفاع عن وحدته. ذلك أن مكانة المواطن وكرامته وازدهاره مرتبطة بوحدة الوطن وسلامته من الاضطرابات الأمنية والاجتماعية والسياسية.

لقد عرفت التربية تحوّلات كبيرة في مجالات اهتمامها. و هكذا انتقلت من تعليم القراءة والكتابة إلى تعليم مختلف المهارات العلمية والاجتماعية

والمهنية، وأخيرا إلى تدريب أفراد المجتمع ليصبحوا مواطنين صالحين، من خلال تدعيم قيم المواطنة والممارسات الديمقراطية عندهم.

مشكلة الدراسة

إن المتتبع لأحوال الشباب وانشغالاتهم، يلاحظ عدم رضاهم عن واقعهم وتذمرهم منه، مما أدى إلى ظهور احتجاجات وانحرافات، وميل للهجرة القانونية وغير الشرعية، وهوما نشاهده في دول عربية كالمغرب والجزائر وتونس ومصر.... نشاهد أيضا توسع بعض الظواهر السلبية ومنها الإدمان على المخدّرات وتوسع ظاهرة الانتحار والعنف والتطرف والإرهاب. كما يمكن إرجاع ثورات الشباب في بعض المجتمعات العربية إلى عدم شعورهم بانتمائهم لوطنهم وإهمال حكامهم لموضوع المواطنة.

حاولت بعض الدّول العربية استعمال أساليب اقتصادية لإرضاء الشباب ودفعهم إلى حبّ أوطانهم والاستقرار بها وثنيهم عن الهجرة، من خلال السّعي إلى تشغيلهم وتشجيعهم على إنشاء مؤسساتهم الاقتصادية الخاصة. حيث بذلت الجهات المعنية جهودا معتبرة تتمثل في منح الشباب العاطل مختلف المساعدات والتيسيرات والقروض والمساعدات، إلا أن ذلك لم يفلح في تغيير قيم الشباب ودفعهم لحبّ الوطن والولاء له والاستقرار به.

إن مشاكل الشباب واحتجاجاتهم المتكرّرة في بعض الدّول العربية، يؤكد فشل ممارسات الأنظمة التربوية في الوطن العربي، وعجزها عن غرس قيم المواطنة عند الشباب. وهوما يتطلب إعادة إصلاح المنظومة التربوية من أجل تدعيم قيم المواطنة وحبّ الوطن عند النشء الصاعد.

تبحث الورقة في أهمية التربية في إيجاد المواطن الصالح، وفي مفهوم المواطنة والمناهج التربوية المعززة لها. كما تتساءل حول تداعيات تبني قيم المواطنة على ممارسات الأفراد في المجتمعات المعاصرة، وضرورة إيلاء الدول العربية العناية القصوى لموضوع المواطنة وممارساتها الاجتماعية والسياسية لمواجهة تحديات العصر.

الإطار الفكري للدراسة

. واقع وتحديات ممارسات المواطنة في الوطن العربي:

يعرف العصر الحالي تحدّيات أمنية كبيرة، وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وهيمنة القطب الواحد، وما تبع ذلك من عولمة متوحشة، وتدخل القوى الأجنبية في القضايا السياسية والاقتصادية وفي السيادة الوطنية للدول. وهوما يتطلب من الدول العربية إعادة ترتيب البيت الداخلي، واعتماد إصلاح المنظومة التربوية لمواجهة تحديات العصر.

رغم الجهود التي يبذلها المسؤولون السياسيون والمربون العرب، من

أجل تدعيم قيم المواطنة عند التلاميذ والطلبة، من خلال الممارسات والمناهج التربوية إلا أن النتيجة تبقى غير كافية. ورغم عدد النصوص الدراسية والمقررات التي تتطرق إلى حبّ الوطن، والمواطنة والمواطن الصالح، إلا أن المتتبع لواقع المجتمعات العربية عموما، يلاحظ درجة مرتفعة من تذمّر الشباب وعدم رضاهم عن واقعهم.

هكذا نجد عدّة مؤشرات تدلّ على فشل السياسة والممارسات التربوية المرتبطة بتدعيم قيم المواطنة. يمكن استنتاج ذلك من خلال انتشار العنف في المدارس وخارجها، وجنوح الشباب إلى التهاون والتكاسل، وإهمال الدراسة ومغادرة المدارس في سن مبكرة، وانتشار الإدمان على المخدرات، وغيرها من مظاهر التهاون والانحراف. بل يصل الأمر بالبعض أحيانا إلى سبّ الوطن والاستهزاء برموزه.

ذلك أن أهم ظاهرة تدلّ على ضعف وازع الموطنة، ما أمكن ملاحظته في صورة اضطرابات سياسية وامنية وانتشار العنف السياسي، في إطار ما يعرف بالربيع العربي ببعض الدول العربية، وأن الدول العربية الأخرى ليست في منأى عن ذلك.

كما أن مواضيع المواطنة في المناهج الدراسية وممارساتها من حقوق الإنسان والمشاركة السياسية للمواطنين وواجباتهم، ليست الانشغال

الأساسي لكثير من الدول العربية، وبالتالي، ليست من صميم اهتمام وعناية المنظومات التربوية بتلك الدول.

الأهداف التقليدية للتربية:

من أهداف التربية التقليدية تعليم الأجيال الصّاعدة مبادئ القراءة والكتابة، مما يساعد الشباب على الاطلاع على تاريخ الأجداد والمساهمة في إثراء الثقافة المحلّية السائدة. وقد ساهمت المؤسسات التربوية التقليدية في نشر الثقافة العلمية، حيث وصل الأمر إلى إيجاد شعراء وأدباء بل حتى علماء ساهموا في إثراء الحضارة الإنسانية.

بعد ظهور الإسلام، توسّعت أهداف التربية لتركّز على تحفيظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وقد وصل بعض العلماء درجة من العلم أصبحوا مفسّرين ومجتهدين وقضاة، بل نبغ كثير منهم في عصور الإسلام الذهبية. ومع التطورات الاقتصادية، وظهور حرف تتطلب كفاءات علمية وتكنولوجية، ظهرت الحاجة إلى حِرف ومهارات جديدة. وقد ساهمت مختلف المؤسسات التربوية، من المدرسة إلى الجامعة ومراكز التدريب، في إعداد وتخريج عدد كبير من الفنيين والخبراء والمهندسين لإدارة الاقتصاد ومختلف المصالح الإدارية والاقتصادية والصناعية.

ورغم تطوّر الحرف ومهام المتخرجين من قطاعات التربية والتعليم، بقيت أهداف التربية منحصرة في التعليم والتلقين، لمختلف المعلومات

والأداءات الضرورية للتواصل الاجتماعي والقيام بمهام حرفية أووظيفة بكفاءة على أحسن ما يرام.

تتميز الممارسات التربوية التقليدية بهيمنة المدرّسين والأساتذة على العملية التربوية، واعتماد الضغط والعنف اللفظي والجسدي لدفع التلاميذ إلى الدراسة والانضباط، وفرض أفكار وقيَم عليهم، قد لا يتقبلونها، إلا أنهم يتظاهرون بقبولها غصبا عنهم. وهوما يؤدي عادة إلى فشل العملية التربوية وانتشار العنف وارتفاع نسب الفشل والتسرّب المدرسي.

هكذا، يرتكز مشروع المدرسة التقليدية، المتمثل في بناء المعرفة العلمية، وعلى المهارات الفنية والتكنولوجية على حساب قيم المواطنة والتعايش السلمي في المجتمع.

التحوّلات الاجتماعية وتوسّع أهداف التربية:

عرف العالم مع نهاية القرن العشرين تحوّلات كبيرة، وخاصة مع ظهور مفهوم العولمة، وانتشار وسائل الإعلام والاتصال. وقد صاحب ذلك ظهور مفاهيم سياسية واجتماعية متعدّدة، سبق الغرب إلى تطبيقها ودعوته لدول الجنوب، ومنها الدول العربية، إلى احترامها. من هذه المفاهيم، نجد الديمقراطية وحقوق الإنسان، وما يترتب عنهما من حقوق

وواجبات، إلى جانب الحق في الصّحة والسّكن والتربية والأمن والعيش الكريم.

لذلك فإن التحوّلات الاجتماعية والسياسية وانتشار الوعي في المجتمع، عوامل أدّت إلى توسّع أهداف التربية. إذ لم تعد منحصرة في تعليم شروط ممارسة بعض الحِرف والمِهن والوَظائف، بل تعدّتهما إلى قيَم أوسع وأشمل، ومن أهمّها إيجاد المواطن الصالح، وما يتسم به من قيم المواطنة، ومن سلوكات تتمثل في القدرة على التواصل مع الغير، والقبول بالآخر والتعايش السّلمي معه، والإلتزام بواجبات المواطنة.

إن توسّع وسائل الاتصال من خلال الإنترنت، وكثرة السّفر والهجرات الداخلية والخارجية، عوامل أدّت إلى ظهور مجتمعات متنوعة الثقافات والأعراق، وهوما حتّم على المدرسة إدراج موضوع المواطنة وقيم التسامح في مناهجها الدّراسية.

برغم نجاح التربية التقليدية في تدريب تقنيين ومهندسين أكفاء، إلا أنها فشلت - إلى حدّ كبير - في تدريب النشء الصاعد على جوانب مهمة كالمواطنة والتكافل الاجتماعي ونبذ العنف والتطرّف. وهي جوانب مهمّة على المربين والساسة منحها حقّها من الأهمية والعناية، بسبب ما لإهمالها من تداعيات خطيرة على الأمن القومي واستقرار الدول. رغم تزايد أهمية

موضوع المواطنة في العصر الحالي، إلا أن الجهود الموجهة لها في الوطن العربي تبقى غير كافية.

حول قيم المواطنة:

من المفاهيم الشائعة الاستعمال في العلوم الإنسانية والاجتماعية، نجد مفهوم "القيَم". أول ما ظهر هذا المفهوم كان عند الفلاسفة، نظرا لما يحتله في الحياة الوجدانية للإنسان وارتباطها بحياته. وقد تمّ التطرّق لمفهوم القيم من طرف الفلاسفة القدامى مثل أفلاطون، وعند الفلاسفة المحدثين ومنهم "نيتشة" و"كانط" و"ماكس شيللر" و"نيكولاي مارتمان"، وآخرون من الباحثين الأوروبيين والأمريكيين (عبد الله موسى: 2011). كما اهتم علماء النفس وعلماء الاجتماع بموضوع القيم، ومنهم "ثرسطون" و"سبرنجر" و"ألبورت" (الراشدي: 2008، 82).

ترى "سلوى الجسار" أن القيم هي "مجموعة من المعتقدات والمبادئ والمعايير والأحكام التي تتكوّن لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات، بحيث تمكنه من اختيار أهدافه التي تحدّد مسار حياته، وتتجسّد خلال الاهتمامات، أوالاتجاهات أوالسلوك العلمي أواللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة" (الجسار: 2009، 3).

هناك اختلاف بين الباحثين في تحديد مفهوم "القيم"، إذ استخلص "الجلاد" استعمال المفهوم في ثلاثة اتجاهات:

1. القيم باعتبارها مجموعة من المعايير التي يحكم بها على الأشياء بالحسن والقبيح.

2. النظر إلى القيم باعتبارها تفضيلات يختارها الفرد.

3. النظرة إلى القيم باعتبارها حاجات ودوافع واهتمامات واتجاهات ومعتقدات ترتبط بالفرد (الجلاد: 2005، 21-24).

أمّا المواطنة فيمكن تعريفها بأنها العلاقة التي تربط بين الفرد المواطن ودولته، كما يحدّدها القانون، وهي عادة محدّدة في الدستور. لهذا فالدولة ملزمة بتوفير مجموعة من الحقوق لمواطنيها، مقابل مجموعة من الواجبات والالتزامات التي يتطلّب من المواطنين تأديتها. فالعلاقة إذا بين الحاكم والمحكوم علاقة تعاقدية على شبكة من الحقوق والواجبات، وهوتعاقد معنوي عام وشامل تحكمه القوانين الوضعية والشرائع السماوية. يرى "القبّاج محمد"، أن المواطنة هي "وصف سياسي لأفراد المجتمع المنضويين تحت دولة وطن تتبنّى الاختيار الديمقراطي، فهي وضعية تسموعلى الجنسية وتجعل العلاقة مع الدّولة علاقة شراكة في الوطن، وعلاقة تشاركية غير تبعية كما كان الشأن في الأنظمة الاستبدادية والإقطاعية التي يُعتبر فيها الأفراد رعايا لا مواطنين" (القبّاج: 6002، 04).

جاء في دائرة المعارف البريطانية عن "المواطنة بأنها علاقة بين الفرد والدولة كما يحدّدها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق" (الكواري: 2001، 118).

وبذلك يتضح أن المواطنة عضوية كاملة في المجتمع. يرى "باكر مصطفى" أنّه يمكن تصنيف المواطنة في ثلاثة مستويات:

. مدنية: وتشمل الحقوق و الحرّيات العامة.

. سياسية: وتتضمن مختلف أوجه المشاركة السياسية.

. اجتماعية: وتحتوي على حق الفرد في الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية والأمن (باكر: 2004).

إن توسّع مفهوم المواطنة وتعقده، جعله يتجاوز العلاقة بين الحقوق والواجبات، ليصبح ثقافة وممارسات يومية، بل أسلوب حياة. يرى نجيب كمال أن "القوة الحقيقية للمواطنة تكمن في ثقافة المجتمع، إذ أن قيَم المواطنين وعلاقاتهم الاجتماعية ومفاهيمهم المتصلة بقضية المواطنة وحقوقها... تمثل الشرط الأساس لتأمين هذه الحقوق" (كمال: 2004).

من خلال الاطلاع على مختلف تعاريف المواطنة، يتضح لنا أن لها بُعدين، فالأول قانوني يقتضي فرض العدالة بين المواطنين في كافة المجالات، والثاني إنساني يفرض الاحترام والثقة والمحبة والتعاون بين أفراد المجتمع داخل الدولة الواحدة (خالدي: 2006، 41). لهذا نجد

مجموعة من المفاهيم والمقاربات التي تنظر إلى المواطنة باعتبارها ثقافة المشاركة أوتربية على المواطنة أوثقافة المواطنة (الزيدي: 2009). وفي كلّ الحالات، تتطلب المواطنة تربية وتدريبا وتوعية، وهي جوانب مهمة وحسّاسة، تتكفل بها المدرسة الحديثة.

تطوّر مفهوم المواطنة و ممارساتها:

تطوّر مفهوم المواطنة عبر العصور، وقد اقترن بمسعى الإنسان في العدل والمساواة والمشاركة في اتخاذ القرارات. يرى "الكواري" أن "تاريخ مبدأ المواطنة هوتاريخ سعى فيه الإنسان من أجل الإنصاف والعدل والمساواة. هذا السعي للإنسان أخذ شكل الحركات الاجتماعية منذ قيام الحكومات الزراعية" القديمة (الكواري: 2001، 07). وقد ساهمت تلك الحكومات، كنتيجة لمختلف الانتفاضات الاجتماعية عبر التاريخ، في وضع أساس للمساواة، مما ساهم في بلورة مفهوم المواطنة في صورتها الحديثة وما تمثله من قيم وحقوق وواجبات. إن الحقوق التي أصبح يتمتع بها المواطن في عصرنا الحالي، أدّت إلى انتقال أساليب الحكم والإدارة من أساليب مطلقة إلى أساليب مقيّدة.

لقد تضاعفت مسؤوليات الدولة الرسمية تجاه مواطنيها، لتلبية مجموعة من المطالب التي أصبحت حقوقا للمواطنين وتتمثل في حقوق التربية والتعليم، والعناية الصحية، والعدالة والمساواة، وحرية التعبير،

وكرامة العيش، إلى جانب الحق في الاحترام والتقدير. ذلك أن تلبية هذه الحقوق يؤدي إلى شعور المواطنين بالرضا والاطمئنان، إنه الشعور بالمواطنة الحقة، مما تترتب عنه مجموعة من الواجبات والالتزامات.

التحوّلات الاجتماعية والحاجة لتدعيم قيم المواطنة:

عرفت المجتمعات الحديثة تحولات اجتماعية كبيرة، نتيجة توسّع التربية والتعليم، وانتشار الجامعات وتوسّع تكنولوجيا الإعلام والاتصال. وهوما سمح للشباب بالتعرّف على ما يحدث في العالم من تغيرات وممارسات سياسية واقتصادية، مما شجعهم على المشاركة السياسية باعتبارها حق وواجب، وسلوك سياسي مرتبط بالمواطنة.

إن انتشار التعليم بين المواطنين ووعيهم بما يدور حولهم من تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية، وتوسّع السفر إلى مختلف الأقطار والمناطق، والى مواطن مختلف الحضارات والثقافات، عوامل جعلت المواطنين من الشباب أكثر وعيا بواقعهم مقارنة بما يشاهدونه في مناطق أخرى.

كلّ ذلك جعل الشعوب وعلى رأسها الشباب، يطالبون بحقوقهم كاملة، والمتمثلة في حقوق المواطنة. إذ أصبح الشباب والمتخرجون من مختلف المعاهد والجامعات، أكثر وعيا بضرورة التفكير والتقويم وتمحيص الأفكار، قبل اتخاذ مختلف القرارات وتبني مختلف الخيارات.

وأصبحوا أكثر حرية وتفتحا على الواقع، وأكثر تتبعا للأحداث وأكثر تحليلا وانتقادا لما يدور حولهم، إذ أنهم لا يؤمنون إلا بما يقتنعون به، وهوما نجحت الجامعات العربية، وحتى الدّولية في تلقينه إياهم.

هكذا لم يعد شباب اليوم يشعرون بولائهم الطبيعي والآلي لسلطة قبلية يتوارثها شيوخها، بل أنهم أصبحوا يقوّمون أداءات الحكام، ويطالبون بحقوقهم في إبداء الرأي والانتقاد والمتابعة، ويسعون إلى أن يتولى أكفأ الناس مناصب المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية، بل حتى السياسية و خاصة المحلية منها، فيما يسمح به نظام الحكم.

وفقا لمفهوم المواطنة، لم يعد النظر إلى الفرد كرعية عليه واجبات فقط، كما كان في السابق. وإنما أصبح مواطنا له حقوق إلى جانب ما عليه من واجبات. ولم تعد الدولة هي المهيمنة والمسيطرة على الأفراد المتواجدين ضمن حدود الوطن، وإنما أصبح هؤلاء الأفراد شركاء، ومن حقهم المشاركة في اتخاذ كثير من القرارات، من خلال الاستشارات الانتخابية المختلفة. كما أن الديمقراطية مرتبطة بحرية التعبير واستقلالية الصحافة و القضاء. لذلك فإن المواطنة تتطلّب آليات تنظيمية، وهياكل قانونية وكفاءات واستعدادات تساهم الأنظمة التربوية في إعدادها.

الشروط النفسية التربوية للمواطنة:

إلى جانب حقوق المواطنة، ينبغي على المواطن في العصر الحديث الالتزام بمجموعة من الواجبات، التي يتحتم عليه احترامها وتطبيقها، وتتمثل في اعتماد أساليب التعايش السلمي والقبول بالآخر، والدفاع عن حقوق الإنسان وممارستها. كما يلتزم المواطن بتجنب العنف الجسدي واللفظي، وحلّ المشاكل السياسية والمهنية والاجتماعية من خلال الحوار والتواصل والإقناع والاقتناع، ونبذ العنف بكل أشكاله والتطرف في المواقف والأفكار السياسية والدينية. وهي قيم وممارسات تتطلب مناهج وممارسات تربوية لغرسها وتدعيمها عند الأجيال الصاعدة، من المدرسة إلى الجامعة.

كل ذلك يتطلب أفرادا أكفاء، لهم قدرات وكفاءات نفسية وتربوية وعلمية، تتمثل في الثقة بالنفس والإيجابية والقدرة على التعبير وتحمل المسؤوليات. كما تتطلب الرغبة في المشاركة في الحياة الاجتماعية وممارسة الحقوق و الواجبات. وهوما يمكن للمدرسة المساهمة في إيجاده، من خلال أخذ البعد البشري وقيم المواطنة وممارساتها بعين الاعتبار في إطار المنظومة التربوية بمناهجها و ممارساتها التعليمية، وأساليب الإدارة التربوية المتبعة. كما أن ذلك يتطلب ربط المدرسة بالمجتمع المدني والمجتمع عموما، وإشراك التلاميذ والطلبة في التعامل الإيجابي مع المحيط، من خلال المساهمة في حملات التطوّع والتكافل

الاجتماعي والحفاظ على البيئة وتبني أساليب التنمية المستدامة. كما تساهم قيم المواطنة في توحيد الأفكار والاتجاهات بين أفراد الدولة الواحدة، مما يجعلها ضرورية لبناء الدولة العصرية.

دور المدرسة في تنمية قيَم المواطنة:

للمدرسة دور كبير في تدعيم قيم المواطنة من خلال مختلف الممارسات. يرى "صديقي عبد الوهاب"، أن "المدرسة عموما فضاء لترسيخ مجموعة من القيم الدينية، الثقافية والاجتماعية. فهي تربي على المواطنة الصالحة والتسامح والاعتدال والسلوك المدني القويم، الكفيل باحترام الآخر في الاختلاف، وحب الوطن" (صديقي: 2011، 62).

يرى أحمد الكبسي أن "أي نظام سليم لتربية وتعليم النشء يجب أن يهدف إلى:

1. إعداد المواطن لتحمل واجبات المواطنة.
2. إعداد المواطن ليكسب عيشه.
3. إعداد المواطن للأداء بمختلف التزاماته" (الكبسي: 2009، 7).

لم تعد المواطنة دروسا نظرية يتم تلقينها في الأقسام بطريقة سطحية عابرة، وانما هي ممارسات يومية في البيت والشارع والمدرسة. وقد أصبحت أهدافا يتعلمها الأطفال من خلال الممارسات التربوية للمدرسين والمساعدين التربويين وتعامل الإدارة مع التلاميذ، ومنحهم فرص حرية

التعبير والمساهمة في اتخاذ بعض القرارات على مستوى القسم والتّحكّم في تعلّمهم. وهكذا أصبحت المواطنة، بقيمها وممارساتها، محورا لانشغال مخططي المناهج الدراسية، عبر مراحل التعليم المختلفة.

المناهج الدراسية المدعّمة لقيم المواطنة:

تشمل المناهج الدراسية مجموعة من المواد العلمية التي تساهم في تنمية قيم المواطنة عند التلاميذ، وتتمثل أهمها في التربية المدنية، والتربية الإسلامية، والتاريخ، والجغرافيا، واللغة العربية وآدابها، وغيرها من العلوم الاجتماعية، التي تستمرّ مع التلاميذ والطلبة من التعليم التحضيري إلى الجامعة، ويمكن توضيحها فيما يلي:

1. التربية المدنية: يتعلم التلاميذ من خلال التربية المدنية واقع التنظيم الإداري للدولة، وأنماط المجالس المنتخبة مثل المجلس البلدي ومجلس الشورى أوالبرلمان ومهام أعضائه وأدوارهم، والتقسيم الإداري للبلاد، وغيرها من المؤسسات الدستورية التي تشكل النظام السياسي والإداري للوطن. كما تتطرق إلى بعض ممارسات أنظمة الحكم السائدة، كعمليات الانتخاب و مهام الملك أو الأمير أو رئيس الجمهورية والحكومة والوزراء، وحقوق المواطنين وواجباتهم.

2. التربية الإسلامية: وتساعد على تقديم الإسلام الصحيح من خلال شرح القواعد الأساسية للإسلام، من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

رسول الله، وإقامة صلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. كما يتمّ تعريف النشء الصاعد بمصادر التشريع الإسلامي، من قرآن كريم وسنة نبيّه الأمين، وتعريفه بالأديان والكتب السماوية، إلى جانب بعض الصحابة والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم. وهوما يعزّز القيم الإسلامية وما تتضمنه من حبّ الوطن والاعتزاز بتاريخه وأمجاده.

3. التاريخ: يُعتبر التاريخ من أهم المواد الدراسية المعززة لقيم المواطنة. فمن خلاله يتعرف التلاميذ والطلبة على ماضي أجدادهم وبطولاتهم، ومحاربتهم لأعدائهم، ومعاركهم وانتصاراتهم وانهزاماتهم. كما تركز مادة التاريخ على التحولات السياسية ونشأة الدولة الحديثة، وما تطلب ذلك من حروب ضد المحتلين عبر التاريخ الطويل، والمقاومة البطولية للمحتلين. وهوتاريخ زاخر بالبطولات والتضحيات، كدروس للأجيال الصاعدة عن حبّ الوطن والتفاني في الدفاع عنه.

4. الجغرافيا: تساهم الجغرافيا في التقريب بين الأجيال الصاعدة من خلال تعريفهم بمناطق البلاد وتنوعها وتكاملها، وخيراتها الباطنية ومراكز ثرواتها، ومواقع مؤسساتها الصناعية وأهم مظاهرها السياحية، وهوما يساهم في التعارف والتقارب بين تلاميذ وطلبة مختلف المناطق، مما

يقربهم إلى بعضهم البعض، ويقرّب أفكارهم وقيمهم وثقافتهم، ويساهم في التعريف بها.

5. اللغة العربية وآدابها: لدروس للغة العربية وآدابها دور في تقوية الذوق الجمالي والأدبي عند التلاميذ، وتساهم في إبراز حضارة الأمة وثقافتها. يتم ذلك من خلال التعريف بالشعراء والأدباء العرب والمحلّيين، سواء القدامى منهم أوالمحدثين الذين يتغنون بقصائدهم ويبرزون قوتهم وقدرتهم على الإبداع الفكري والأدبي. وهوما يؤدي إلى الشعور بالاعتزاز والانتماء للوطن وحضارته وثقافته، وهوما يساهم في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية. وهكذا تساهم المناهج الدراسية في توحيد الأفكار وطرائق التفكير واتجاهات الأفراد وقيمهم، مما يساهم في إيجاد ثقافة مشتركة تعزز وحدتهم.

طبيعة القيم التي تدَعّمها المدرسة:

تسعى المنظومة التربوية من خلال مختلف ممارساتها إلى تدعيم مجموعة من القيم يمكن تصنيفها إلى قيم اجتماعية، وقيم قومية وقيم إنسانية، ويمكن توضيحها كما يلي:

ا. قيم اجتماعية:

وتركز على التعاملات الاجتماعية في الأحياء ومواقع العمل وأثناء القيام بمختلف النشاطات اليومية، ويمكن إبرازها من خلال:

- قيم التسامح والتعايش السلمي: من القيم التي تنال اهتماما في البرامج التربوية، نجد قيم التسامح والتعايش السلمي ونبذ العنف، واعتماد أساليب الحوار لحلّ المشاكل الاجتماعية و السياسية.

- قيم التعاون والتكافل الاجتماعي: تهدف التربية من خلال مختلف مناهجها إلى تدعيم قيم التعاون والتكافل الاجتماعي، وهوما نشاهده في إشراك التلاميذ والطلبة في مختلف حملات التطوّع والمساعدة، وخاصة في الحالات الاستثنائية مثل حدوث الكوارث.

- قيم حقوق الإنسان: تعتبر حقوق الإنسان من أهم دعائم المواطنة. لذلك تهتم بها المدرسة، حيث أن هذه الممارسة حق وواجب، تعمل المجتمعات الحديثة على تطبيقها في الحياة اليومية للمواطنين.

لا تقتصر المدرسة على تنمية القيم الاجتماعية والنشاطات اليومية للمواطنين، بل تتعداها إلى القيم المرتبطة بالتعامل مع الدولة ومع الوطن.

ب. قيم قومية :

وتهتم بعلاقة الحاكم بالمحكوم، وبعلاقة المواطن بوطنه، وبأساليب ممارسات المواطنين لحقوقهم السياسية وواجباتهم نحوالوطن، ويمكن تحديدها في العناصر التالية:

- قيم حبّ الوطن والدفاع عن مقوماته: من ضمن أهداف التربية تعزيز قيَم حبّ الوطن، والدفاع عن مقوماته من عقيدة ولغة وخيارات سياسية.

- قيم المساهمة في صنع القرارات: لقد ظهرت أساليب حديثة في إشراك المواطنين في عمليات صناعة واتخاذ القرارات، من خلال الحوار والاتصال ومنح فرص التعبير عن الانشغالات. وقد توسّعت هذه الممارسات إلى المجالات المهنية والاجتماعية والسياسية، وأصبحت من أهم الأساليب الحديثة التي تمنح المواطنين فرص الترشح وتحمل المسؤوليات في مختلف المستويات، ومراكز اتخاذ القرارات، حسب القوانين المعمول بها. وتساهم التربية في إعداد المواطن القادر على ذلك.

- قيم الالتزام بالواجبات الوطنية: كثيرا ما يركز الشباب على الحقوق ويتناسى الواجبات. إلا أن المواطنة السليمة هي التي يلتزم فيها المواطنون بواجباتهم المختلفة، حسب ما تقرّه القوانين والأعراف والشرائع السائدة في المجتمع.

إلى جانب هذه القيم المرتبطة بالحقوق والواجبات نحوالدولة هناك قيم إنسانية تهدف التربية عموما، وفي أي مكان لتدعيمها.

ج. قيم إنسانية:

يعيش الأفراد والمجتمعات في عالم واحد، يشتركون في مجموعة من القيم الإنسانية. تسعى التربية الحديثة إلى تدريسها بِغضّ النظر عن أماكن تواجدها. فشئنا أم أبينا فإننا نعيش في عالم بدأت فيه حدود الدول تتلاشى أمام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وأمام تشابك العلاقات الدولية في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية. وأصبحت هناك قيم إنسانية سائدة، لم تعد حكرا على الشرق أوالغرب، وإنما أصبحت قيما عالمية، يجب تدريسها، وليست مؤسسات التربية في الوطن العربي استثناء لذلك.

- قيم الديمقراطية: ترتبط الديمقراطية والتي يتم بموجبها تساوي الفرص بين المواطنين في عمليات المساهمة في اتخاذ القرارات وصناعتها والمساهمة في مراقبة تنفيذها على مختلف المستويات، مما يساهم في محاربة الفساد.

- قيم العولمة: نشاهد منذ ظهور مفهوم العولمة وفرضها من طرف الدول العظمى، مظاهر تشابك الاقتصاد والسياسة والتعليم، مما يؤكد توسع العولمة، إلى درجة تحققت المقولة "أننا أصبحنا نعيش في قرية صغيرة". وأصبح من غير الممكن تجاهل التطرق إلى العولمة وضرورة التفاعل معها إيجابيا فيما يخدم المصالح القومية.

من هنا يتضح لنا تنوع القيم التي تدعمها المدرسة، في عالم معقد ومتشابك، يرتبط فيه الماضي بالحاضر وبآمال وطموحات المستقبل، ويرتبط فيه الثقافي الحضاري بالاقتصادي. كما يعرف العصر الحالي أيضا قيما متناقضة تعكسها الثنائية التي يعرفها العقل العربي مثل: الأصالة والمعاصرة، الحداثة والتقليد وغيرها. إلا أن الممارسات التربوية تتعامل معها بإيجابية وحنكة، لتجنب الصراعات القيمية في المجتمع.

دور التربية في تمكين الطلبة من كفاءات ممارسة المواطنة:

ليست المواطنة قيما نظرية يتغنى بها الأفراد والشعوب والأنظمة، ويرفعونها شعارا إعلاميا براقا، بقدر ما هي ممارسات في حاجة إلى مهارات وقدرات نفسية وسلوكية تنشأ عليها الأجيال الصاعدة ويتدرب عليها التلاميذ والطلبة عبر مراحل التعليم، من الحضانة إلى الجامعة. تبرز هذه الممارسات في القدرة على التعبير والحوار والتعايش مع الغير في مجتمعات متعددة الأعراق والثقافات والحضارات بل حتى الأديان والألوان.

وهوما يمكن تعلمه من خلال الممارسات التربوية وتصرفات المربين والأساتذة وطرق التعامل مع التلاميذ والطلبة. بحيث يسمح للطلبة بإبداء الآراء والأفكار والانتقادات والاستماع إليهم وإشعارهم بأهمية ما يقدمونه من أفكار و اقتراحات. لذا يجب إيجاد الظروف المناسبة ومنح الطلبة فرص التعبير عما يخالجهم من انشغالات، وتقبل انتقاداتهم إن وجدت،

وتدريبهم على الحوار والنقاش، ومساعدتهم على إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل المطروحة، سواء كانت دراسية أواجتماعية علائقية.

تساهم الإدارة المدرسية من خلال التعامل بإيجابية مع الطلبة والتحاور معهم عند الحاجة، والتعامل معهم كأفراد لهم حقوق وعليهم واجبات، والاستماع إلى انشغالاتهم التربوية بل وحتى الاجتماعية، وهوما يعزز الدور التربوي للمدرسة وإدارتها.

وهكذا فإن إشراك الطلبة في بعض الأنشطة الاجتماعية من خلال مختلف عمليات التطوّع والتفتح على المحيط، عوامل تساهم في تمكين الطلبة من آليات ممارسة المواطنة من حقوق وواجبات، وما يتطلب ذلك من كفاءات ومهارات نفسية واجتماعية.

وبهذا تشارك عناصر المدرسة ومكوناتها، من إدارة ومدرسين وطاقم إداري، إلى جانب المناهج الدراسية وطرائق التدريس في تدعيم قيم الموطنة عند التلاميذ وتنميتها في نفوسهم، لكي يشبوا على فهمها وممارستها. وبهذا يتعلّم التلاميذ مفهوم وقيم المواطنة ويبدؤون ممارستها في المجتمع التربوي داخل المدرسة، قبل تطبيقها في المحيط الاجتماعي، وفي المحيط السياسي بعد ذلك.

من هنا تبرز أهمية التربية في تنمية النشء على قيم المواطنة والشعور بالانتماء للوطن والدفاع عن وحدته، ذلك أن مكانة المواطن وكرامته

وازدهاره مرتبطة بوحدة الوطن وسلامته من الاضطرابات الأمنية والاجتماعية والسياسية.

دور المواطنة في تعزيز قيم الانتماء والولاء للوطن:

إن تلبية حاجات المواطنين وإشراكهم في اتخاذ القرارات، تؤدي إلى الشعور بأهميتهم باعتبارهم جزء من هذا الوطن، وبالتالي يشعرون بالرضا والارتياح والأمن ويعتزون بانتمائهم له، وهوما يؤدي إلى ولاء المواطنين لحكامهم ولوطنهم، مما يؤدي إلى تعزيز العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

يرى أحمد محمد، أنه "عند تحدثنا عن الوحدة الوطنية فإننا نقصد العمل من أجل:

- تعزيز وتعميق مفهوم الولاء للوطن.
- وحدة المشاعر تجاه قضايا الوطن والأمة.
- التكامل في البرامج وليس التصادم.
- وحدة الأهداف.
- مراعاة خصوصيات شرائح المجتمع" (الكبسي: 2009، 13).

كما تترتب عن رضا المواطنين وشعورهم بالانتماء التزامهم بمجموعة من الواجبات، تتمثل أهمها في احترام القوانين، واحترام المسئولين، والدفاع عن الوطن وعن استقراره ومقوماته الثقافية والحضارية، وهوما

يشمل أولياء الأمر، ويكون ذلك عن اقتناع وطواعية وليس نتيجة قهر وخوف، أوتملّق، كما نشاهده عند مواطني كثير من الدول التي لا يشعرون فيها بمواطنتهم.

وهكذا فإن الشعور بالولاء والانتماء للوطن هي الحلول المساعدة في مواجهة التحديات. ذلك "أن شعبا يتكون من فرق وطوائف وقبائل متعددة، وينحدر من أصول قومية متنوعة وأقليات قومية أخرى، لا يوجد ما يجمع بين كل هذه المكونات إلا الولاء للوطن (الكبسي: 2009، 16). وهوما تساهم التربية بأهدافها ومناهجها وممارساتها في تجسيده.

أهمية المواطنة في تعزيز الوحدة الوطنية:

إن تبني أفراد المجتمع لقيم المواطنة واقتناعهم بها، يؤدي إلى مجموعة من المظاهر النفسية والاجتماعية، معبر عنها بمجموعة من السلوكات، تتمثل أهمها في الشعور بالانتماء للأمة والاعتزاز بتاريخها ومقوماتها الثقافية والحضارية، وبالتالي الشعور بالولاء مما يؤدي إلى الوحدة والدفاع عن الوطن وكرامته.

ذلك أن المناهج الدراسية ومحتوياتها تكون نابعة من سياسة الدولة وفلسفتها التربوية، تطبيقا للمبدأ الأفلاطوني – الأرسطي القائل بأن التربية جزء من استقرار الدولة (عبّود عبد الغني: 1976، 161).

وقد كان نابليون من القادة السياسيين الذين تفطنوا إلى أهمية

التربية وضرورة السيطرة عليها، وتسخيرها لخدمة السياسة. حيث كان يرى أنه ربما كانت مسألة التعليم أهم المسائل السياسية لأنه لن تكون هناك دولة ذات استقرار متين، ما لم يكن لديها هيئة تدريس تعلّم التلاميذ مبادئ مقرّرة واضحة يشبّون عليها. وأنه إذا لم نعلّم الطفل منذ حداثته أن يكون جمهوريا أوملكيا كاثوليكيا أوذا مذهب حرّ فلن تكون الدولة ممثلة للشعب. وإنما ستكون نظاما قائما على قواعد واهية معرضا للقلاقل والاضطرابات باستمرار (Coupland, 1940: 40).

من هنا كانت التربية ولازالت أهم قواعد بناء استقرار الدول ووحدتها من خلال مناهج تعلّم المواطنين منذ نعومة أظافرهم المبادئ الدينية والقيم الوطنية والممارسات الثقافية وقيم المجتمع وتاريخ أجداده، وسياسة وطنه ليشب عليها، مما يدعم انتشار قيم الوحدة الوطنية والدفاع عنها.

دور الإسلام في تدعيم قيم المواطنة:

أتى الإسلام بتشريعاته الإنسانية قبل ظهور النظريات الغربية حول المواطنة، بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، تحدّد حقوق الإنسان ومكانته في الإسلام، والممارسات الإسلامية في مختلف المواقف الاجتماعية والمهنية والسياسية، وكلها ممارسات وقيَم تكَرّم المواطن والإنسان عموما.

فالوحدة الوطنية فريضة شرعية لقوله سبحانه وتعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (آل عمران: 103). وقوله أيضا: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران:104). وقوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ) (المائدة 2).

وفي حديث شريف عَنْ عَرْفَجَةَ ، قَوله: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " تَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ " (رواه مسلم و أبوداود و الترمي).

وقد تربى الصحابة رضوان الله عليهم على قيم العدل والمساواة والمواطنة الحقة، وعملوا بها، وهوما عبّر عنه "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه بمقولته المأثورة " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

مع ذلك فإن كثيرا من الدّول أهملت الإسلام وممارساته، أوانها لم تطبق قيمه وتعاليمه، وقد أصبحت مضطرة الآن بسبب الضغوط الأجنبية والداخلية، على الاهتمام بالمواطنة. كما أن غالبية الدول العربية أخذت المواطنة شعارا أجوف، دون اتخاذ خطوات جدّية في تطبيقها.

ذلك لا بدّ من مسايرة التحوّلات العالمية، والمبادرة إلى نشر وتطبيق قيم المواطنة، فنحن أولى بها، وأن ديننا الحنيف أقر شرائعها منذ خمس عشرة قرنا، وقد مورست في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم. حيث نعم المسلمون الذين كانوا منضويين تحت الخلافة الإسلامية بالأمن والاستقرار والرضا عن حكامهم وممارساتهم، رغم أنه لم يكن هناك أحزاب ولا نظم انتخابات.

خلاصات ونتائج :

الإصلاح التربوي لمواجهة تحديات العصر: إن ممارسة المواطنة وتطبيق مبادئها يتطلب اتخاذ قرارات جريئة وشجاعة في هذا الاتجاه. يتمثل ذلك في إيجاد المناخ السياسي والاجتماعي المناسب لذلك، واتخاذ الإجراءات المناسبة، ومنها إصلاح منظومة التربية والتعليم للمساهمة في توعية النشء وتدريبه على ممارسات قيم المواطنة. وهوما يتطلب إعادة إصلاح المنظومات التربوية بأهدافها ومناهجها، وتدعيمها بإصلاحات تمس عدّة مجالات، تهدف كلّها إلى تعزيز قيم المواطنة ونشر الاطمئنان والأمن بين المواطنين.

لقد أصبحت المواطنة وممارساتها على أرض الواقع هي السبيل الوحيد لتجنب ضغوط الدول العظمى والجمعيات الدولية لحقوق الإنسان وغيرها من الجمعيات غير الحكومية، وإفشال سعيها في تحريك شعوب

تلك الدول للانتفاضة ضد حكامها، لأجندات تبقى خفية. وهي تستعمل هذه الضغوط لابتزاز الدول العربية للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية بل حتى حضارية.

لذا يجب العناية بحاجات المواطنين، وتسخير المنظومة التربوية لتوعيتهم وإعدادهم للمستقبل في عالم لا يرحم. إن تدعيم قيم المواطنة وممارساتها يحصّن المجتمعات العربية والإسلامية من استعمالها لأغراض تخدم مصالح أجنبية. وليس بغريب أن انتفاضات الربيع العربي ظهرت في دول قبل غيرها، لإهمال تلك الدول لقيم المواطنة عند شعوبها. وقد لا تحدث في دول عربية أخرى، ويمكن إرجاع ذلك لحِكمها، وتدعيمهم لقيم المواطنة، من خلال سياسات العناية بالمواطنين وتحسين ظروفهم المعيشية والتكفل بانشغالاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهوما يجب على الحكومات والمجتمعات العربية تعزيزه والتعامل معه بإيجابية.

خاتمة:

لقد تعقدت الحياة السياسية والاجتماعية وتداخلت عناصرها، وأصبح من الضروري الاستجابة للتغيرات العالمية، والقيام بمجموعة من الإصلاحات لمواجهة التحولات العالمية ومسايرة شروط العولمة. إن التعامل الإيجابي مع التغيرات ونجاح المدرسة في ترسيخ قيم المواطنة، واعتبار

الأفراد شركاء لا مجرد رعايا، وهوما يجنب الدول والشعوب العربية الضغوط والتدخلات الأجنبية.

وقد أصبحت الحاجة ملحة للعودة إلى قطاعات التربية، بما في ذلك الجامعة ومراكز البحوث، لمحاولة فهم أسباب الاضطرابات الشبابية ومصادر الخلل، ودراستها والقيام بالإجراءات الضرورية لتجنبها أو البحث عن الطرائق المناسبة لمواجهتها. وقد أثبتت التجارب أن الحلول الأمنية أصبحت غير مجدية، ويبقى المجال التربوي واعتماد أساليب علمية مدروسة والحوار المتحضر، هي الطرق المثلى لمواجهات الاحتجاجات الاجتماعية. لذا علينا الرجوع إلى التدقيق في التربية وأهدافها ومناهجها ومراجعة ممارساتها، وإصلاحها لمسايرة التحولات المعاصرة، والتعامل من خلالها مع أفكار وقيم شباب اليوم رجال ونساء الغد.

وهوما يستحيل تحقيقه عن طريق الخطب السياسية الرنانة، والمواعظ الأخلاقية والدينية، والبرامج الإعلامية ذات الإخراج الجذاب، وإنما يتم تحقيقه عن طريق التربية والتعليم والتدريب والقبول والإقناع والاقتناع، في عصر أصبح الشباب أكثر وعيا وأكثر جرأة للتعبير عن مطالبهم، وهوما تساهم المدرسة في تحقيقه.

المراجع

بابكر مصطفى (2004) مواطنة بلا حدود: مداخلات حول قضايا الشباب والتربية، في التربية والشباب والمواطنة، الجمعية التونسية للدراسات حول ثقافة الشباب، مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية وميوورد، تونس.

الجسار سلوى عبد الله (2009) واقع القيم في التعليم المدرسي، رؤية جديدة نحوتطوير أداء المعلّم، المنتدى الثاني للمعلّم، كلية التربية الأساسية، الكويت.

الجلاد ماجد زكي (2005) تعلّم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن.

حجازي مصطفى (2001) علم النفس والعولمة: روى مستقبلية في التربية والتنمية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

خالدي أحمد (2006) مناهج التربية المدنية ومفهوم المواطنة في المدرسة الجزائرية، رسالة ماجستير في التربية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.

الراشدي سعيد (2008) النظام التربوي المغربي: دراسة تحليلية للقيم الموجهة للسياسة التربوية بالمغرب. دار القلم، الرباط.

الزيدي المنجي (2009) الشباب والتنشئة على قيم المواطنة: مقاربة سوسيولوجية للنموذج التونسي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو.

صديقي عبد الوهاب (2011) المدرسة المغربية وقيم المواطنة والسلوك المدني: دراسة في حضور القيم في مقررات مادة اللغة العربية، السلك الثانوي الإعدادي. مجلة علوم التربية، المغرب، عدد 48، ص: 62 – 75.

عبد الله موسى (2011) مقدمات في فلسفة القيم. دار القدس العربي، وهران. ط 2.

عبود عبد الغني (1976) الإديولوجيا والتربية، دار العلم للملايين، بيروت.

القباج محمد مصطفى (6002) "مدارات المواطنة المعاصرة: نحومفهوم جديد للمواطنة في عهد التكتلات الكبرى والنظام العولمي" في "الدولة ومواطنوها: المسؤوليات الجديدة وإعادة توزيع للأدوار"، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج تونس ، ص 40.

الكبسي أحمد محمد (2009) المواطنة والوحدة الوطنية: مفاهيمها وأبعادها، في فعالية الندوة حول: المواطنة والوحدة الوطنية في الوطن العربي، مراكش 13 – 15 مارس، ص: 7 – 21.

كمال نجيب (4002) "المواطنة وثقافة المدرسة في المجتمع المصري" في "التربية والشباب والمواطنة"، ضمن أشغال الندوة الإقليمية الأولى حول التربية والشباب والمواطنة، الجمعية التونسية للدراسات حول ثقافة الشباب، مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس وميوورد، تونس.

الكواري علي خليفة (2001) مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية، مجلة المستقبل العربي، ع. 164 فبراير، ص: 104 – 125، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

Coupland Reginald (Selected by) (1940) The war Speeches of William Pitt the Younger, 3rd ed. Oxford at the Clarendon Press, London.